تأثير طه حسين

فى الفن القصصي المعاصر

"لقد صدق الدكتور زكى نجيب محمود، عندما قال إن التاريخ سيقول عن السنين الخمسين التى توسطت القرن العشرين: لقد كان عصر طه حسين. فما أظن كاتبًا، خلال هذه السنوات الخمسين، قد كتب شيئًا دون أن يهمس له فى صدره صوت يقول : ماذا عسى أن يكون وقع هذا عند طه حسين إذا قرأه؟ وهكذا، كان هو المعيار المستكن فى صدور الكاتبين، كأنه لهم فى حياتهم الأدبية ضمير يوجه ويشير".

هذا ما يقوله الناقد الدكتور محمد نجيب التلاوى فى كتابه "طه حسين والفن القصصي"، الذى أعادت دار كتب عربية نشره فى القاهرة بعد عشرين عامًا من صدوره للمرة الأولى. ويقول د.محمد نجيب التلاوى مستطردًا فى كتابه: "ها نحن ــ هنا ــ نجتزئ من إسهامات طه حسين، فى فنوننا الأدبية المعاصرة، ونقف مع مسيرته فى فن القصة العربية فى مصر، التى أثراها بإبداعاته الروائية والقصصية، وبنقداته ثم بترجماته.

ولعل أهم ما يجذب الباحث فى دور "طه حسين" فى مسيرة القصة المصرية، هو انقسام النقاد والدارسين للفن القصصي تجاه دور "طه حسين" ونتاجه القصصي، ومدى تأثيره على مسيرة القصة المصرية.. فبعض النقاد معارض، يرى أن "طه حسين" زج بنفسه، ولم يكن له الأثر بنتاجه

القصصي، والباحث فى تاريخ الرواية المصرية لا يقف طويلاً عند "طه حسين".

وأبرز من مال إلى القول بضآلة دور "طه حسين" فى الرواية والقصة المصرية د. إسماعيل أدهم، وإبراهيم ناجي. وتبعهما فؤاد دوارة، فى القصة القصيرة، وكذلك د. سهير القلماوي. وترادفت آراؤهم فى أن طه حسين ليس قصاصًا، باستثناء عمله الفني "الأيام"، وأنه ليس صاحب اتجاه فى فننا القصصي المعاصر، ولم تترك قصصه أثرًا يذكر، وأن مؤرخ القصة العربية الحديثة لا يتوقف كثيرًا عند قصصه، والقصاصون تأثروا "بعودة الروح" لتوفيق الحكيم، ولم يتأثروا "بدعاء الكروان".

بل إن بعض الباحثين، فيما يتصل بالرواية والقصة المصرية من جوانبها المختلفة، تجاهلوا إلى حد ما دور "طه حسين"، ولم يستشهد بنتاجه القصصي إلا ما جاء عفو الخاطر السردي، مثل "يحيى حقي" فى "فجر القصة"، ومثل "د. طه وادي" فى بحثه عن "صورة المرأة فى الرواية المعاصرة"، برغم أن طه حسين قدم أبطال قصصه نماذج نسائية مصرية متباينة "الزوجة – الأم – الابنة – الساقطة – الملتزمة"، واستغل المرأة لعرض قضايا المجتمع، من خلال مشكلاتها، على الرغم من شكوى بعض القصاصين فى ذلك الوقت، من أن المرأة المصرية قعيدة المنزل، عامل غير مساعد على إثراء وكتابة موضوعات قصصية. وحتى فى مجال القصة القصيرة، أيضًا، تجاهل الباحثون "طه حسين"، وكأنه شيء لا يستحق الذكر، وعلى سبيل المثال ذكر النساج ــ فى بحثه ــ الرواد، ولم يذكر طه حسين، حتى إنه أحصى مؤلفي القصة القصيرة، ومنهم من كتب قصة

واحدة فقط مثل "قطعة الذهب – لمصطفى فهمي"، بينما لم يذكر شيئًا عن "طه حسين"، ومؤلفاته فى هذا المجال ".

وفى الجانب الآخر – كما يوضح د.محمد نجيب التلاوى – نرى البعض يشيد بدور "طه حسين" فى فن القصة المصرية، منهم على سبيل المثال لا الحصر إبراهيم المازني، د. يوسف نوفل، د. عبد المحسن بدر، ود. عبد الحميد إبراهيم الذى يقول : " لعلى لا أبالغ لو زعمت أن طه حسين قد خلق ليكون قصاصًا، قبل أي شيء آخر "، والمازني الذي قال : " إن الدكتور طه حسين قصصي بارع، وأديب روائي من الطبقة الرفيعة ".

ويقول د.محمد نجيب التلاوى فى كتابه : " لعل هذا الاختلاف الواضح بين النقاد فى تقييمهم لدور وأعمال "طه حسين" القصصية، هو أحد الأسباب المهمة الدافعة للبحث فى هذا الموضوع، وهذا يضطر الباحث إلى البحث فى تاريخ الرواية والقصة المصرية قبل وأثناء وبعد "طه حسين"، لأن "طه حسين" ممتد، مع امتداد الرواية المصرية منذ طفولتها، فى بدايات هذا القرن، حتى استقرارها ــ الآن ــ كفرع من أهم الفروع الأدبية. وليست الموازنة للرواية والقصة المصرية قبل وبعد "طه حسين"، ومدى تطورها وتقدمها هي الدليل الدقيق، لتقييم أثر ودور طه حسين فى الرواية والقصة المصرية ؛ لأن طه حسين واحد من الرواد، وتطور الرواية بعد طه حسين جاء نتيجة جهود متضافرة، وعقول متفاعلة، أدت إلى تطور الرواية والقصة المصرية، وطه حسين واحد من بين المؤثرين فى هذا الطور، ويتضح ذلك من خلال دراسة ما أسهم به طه حسين من نتاج

قصصي وروائي، ومن دراسات نقدية، وتقديمه لترجمات أفادت القصة المصرية ".

ويعتقد د.محمد نجيب التلاوى أن الوقوف مع تاريخ تطور الرواية والقصة المصرية من مكرور القول، حيث إنه سبق فى هذا المجال بأكثر من عمل علمي جامعي، أرخ لتطور أنواع الفن القصصي فى مصر، وعلى الرغم من ذلك، فالباحث يضطر إلى الوقوف فى إيجاز شديد مع تاريخ الفن القصصي فى مصر ؛ لأن الباحث يدرس طه حسين، وهو واحد من الرواد، قد امتد مع امتداد تطور الرواية والقصة المصرية فى عصرنا الحديث، بل لعل المراحل التى مرت بها الرواية والقصة المصرية، هي المراحل نفسها التى أسهم بها طه حسين تقريبًا، حيث قدم القصص التعليمي، وشارك فى الترجمة وتقديم القصص المترجمة، لكن من النوعية القيمة المفيدة، وكتب السيرة الذاتية، والرواية التاريخية، ثم الرواية الفنية، فضلاً عن قصصه القصيرة.

يشار إلى أن الناقد الدكتور محمد نجيب التلاوى عمل كمحاضر بالكلية العربية بولاية صكتو بنيجيريا فى الفترة من عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٢، وكرئيس قسم اللغة العربية بكلية البنات بغسو بنيجيريا فى الفترة من عام ١٩٨٢حتى عام ١٩٨٤، وكمدرس مساعد ثم كمدرس ثم كأستاذ ثم رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالمنيا، كما عمل أستاذًا مساعدًا بكلية التقنينية بالدمام بالسعودية فى الفترة من عام ١٩٩١ حتى عام ١٩٩٢، وأستاذاً مساعدًا بقسم اللغة العربية بكلية الإنسانيات بجامعة قطر

فى الفترة من عام ١٩٩٢ حتى عام ١٩٩٧، وأستاذًا زائرًا بكلية الدراسات الإسلامية العليا بسراييفو بالبوسنة، عام ١٩٩٦.

شغل د. التلاوى كذلك منصب عميد كلية الآداب بجامعة المنيا فى عام ١٩٩٩، وهو عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمي منذ عام ١٩٩١، ومستشار النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية بالسعودية فى الفترة من عام ١٩٩١ حتى عام ١٩٩٢، ورائد اللجنة الثقافية بالكلية بالسعودية فى الفترة من عام ١٩٩١ حتى عام ١٩٩٢، وعضو اتحاد الكتاب بمصر، واتحاد الكتاب العرب بدمشق، ورئيس لجنة البحوث بالأمانة العامة لأدباء مصر، ومن مؤلفاته: "قصص الخيال العلمي فى الأدب العربي"، "المنظور اليهودي للشعر العربي المعاصر"، "تحت الرواية: دراسة فى فنية الإبداع الروائي"، "فن التعبير"، "تطوير الشعر العربي الحديث"، "القصيدة التشكيلية"، "أدب الخيال العلمي"، "فن النقد الأدبي الحديث"، "الاتجاهات النقدية الحديثة والحداثية"، وغيرها.